من أسرار التّعبيرات القرآنيّة النّحويّة في تفسير ابن عرفة (ت ٨٠٣ هـ).

إشراف/ أ.م.د. مكي محي عيدان الكلابي

جامعة كربلاء / كلية العلوم الاسلامية

الباحث/علي حربي سلمان الكريطيّ

ملخص البحث:

الحمد لله ربِّ العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين محمد وعلى آله الطيّبين الطاهرين وأصحابه الغر الميامين ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين. وبعد

إنَّ ممّا هو مفروغ منه أنّ القرآن الكريم قد شغل ارباب اللغة بما ضمّه من بلاغة المعنى وعذوبة البيان وجمال الأسلوب،إذ كان معجزاً بكل أساليبه وأغراضه ومعانيه السامية.

وبينما عكف أرباب اللغة على شرح ألفاظه وبيان معانيه وأعرابه ، التفت المفسرون والبلاغيون إلى أنساق منه ممّا يندرج تحت باب علم المعاني ،ومن ثمَّ رصدوا بواعث التنكير والتعريف والتقديم والتأخير والذكر والحذف وما إلى ذلك من الأغراض إذ حاولوا كشف أسرارها وكشف اللثام عن معانيها ، فانفتحت أمامهم أبواب ظلت مؤصدة على غيرهم، وضمّنوا مظانهم شذرات من هذا الباب .

وكان من هؤلاء المعنيين بهذا الميدان الخطيب الإسكافي (ت٤٢٠هـ) في (درّة التنزيل وغرّة التأويل) والزمخشري في (كشّافه) إذ كان جلّ ما استنبطه من روائع البيان، وعجيب النظم من نتاج ذهنه المتوقد ،وذوقه السليم ، وعلمه المتفجر، ثمّ تلقف كوكبة من العلماء ذلك منه، وساروا على هديّه في مؤلفاته، واقتفوا أثره. وكان من بين من وشى مصنفاته بهذا اللون من الدراسة الفخر الرازي (ت٦٠٦هـ) في(التفسير الكبير)، وأبو حيان(ت٧٤٥هـ) في (البحر المحيط) والآلوسي(ت١٢٧٠هـ) في(روح المعاني) وغيرهم .

وكان ابن عرفة من بين من حاول أن يتصيد هذه الأسرار النحوية ويسبر أغوارها ، فجاءت مباحثه على نسق ما سطره أسلافه، وإن كنا ألفيناه في كثير من المواطن خرج عن هذا

الإطار إذ التفت إلى ما لم يلتفت إليه الأوائل، ومن ثمَّ كانت مباحثه في هذا الباب مظنة الجدة والابتكار والأصالة، فكان بارعاً في هذا الميدان، ومتضلعًا في استشفاف النكت البلاغية والأسرار التعبيرية، وأنّ هذا التفسير إذ ضمّ تفسيره بين دفتيه ألوانًا من علوم العربية ، وأودع فيه مؤلفه مباحث جليلة ، ومادة غزيرة ، وشذرات من الآراء النحوية ، فارتأيت أن انفض عن آثار هذه الشخصية الغبار ، واكشف عمّا حواه كتابه من مادة في علوم العربية ولا سيّما أسرار التعبيرات القرآنية النحوية .

((إنّ التعبير القرآني تعبير فني مقصود. كل لفظة بل كل حرف فيه وُضِعَ وضعًا فنيًا مقصودًا، ولم يراعى في هذا الوضع الآية وحدها ولا السورة وحدها بل روعي في هذا الوضع التعبير القرآني كلّه، ولقد تبين أنّه لم توضع الأَلفاظ عبثاً ولا من غير حساب، بل هي موضوعة وضعًا دقيقًا بحساب دقيق))[١].

وسأحاول في هذا البحث كشف النقاب عن الجوانب المهمة التي برزت في دراسة التعبير القرآني ممّا تناوله ابن عرفة ، فدرست المباحث الآتية :

١- المبحث الأول : من أسرار التنكير والتعريف

٢- المبحث الثاني : من أسرار التقديم والتأخير

٣- المبحث الثالث : من أسرار الحذف

وأخيرًا أرجو أن أكون قد وفقت في تقديم إسهامة علمية ألتمس بها رضا الله ، وأسأله سبحانه التوفيق لنا جميعًا .

التمهيـــد

ابن عرفة وآثاره العلمية:

يعد ابن عرفة الورغمي(ت٨٠٣هـ) أحد أعلام البيان القرآني ،إذ سبر أغوار هذا الكتاب المعجز ،ودرس ما كتبه غيره،فجاءت مباحثه على نسق ما سطره أسلافه كالزمخشري(ت٥٣٨هـ) وابن عطية (ت٥٤٦هـ) وأبي حيان(ت٧٤٥هـ) والسمين الحلبي(ت٧٥٦هـ) ، وانتهج طريقة الإملاء والتحليل التي تتطلب الإكثار من إيراد أقوال العلماء في كلّ المسائل مع فسح مجال للسؤال والبحث وتحليل التراكيب وإيراد كلام أئمة اللغة والنحو وإيضاح مقاصد التراكيب

ودلالاتها،ويهتم بالتوجيه والتأويل حتى تتضح وتستقيم دلالة الآية على المعنى الذي يتعلق بها[٢] .

١ – مولده ونسبه :

هو محمد بن محمد بن عرفة التونسي المالكي المقرئ الأصولي المنطقي شيخ الشيوخ[٣] ، يكنى بأبي عبد الله ولد في تونس فـــي ٢٧ رجب سنة (٧١٦هـ/ ١٣١٦ م)[٤]

أمّا نسبه رحمه الله فهو أبو عبد الله الشيخ الأعلم القدوة العلّامة البركة الفهّامة ذو القدر الكبير ، والفخر الشهير ، الحاج لبيت الله الحرام ، المعظم لسنة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أبو عبد الله محمد بن محمد بن عرفة المالكي مذهبًا الورغميّ نسبًا ، التونسي مولدًا ومَنْشَأً [٥] ، نسبه إلى ورغمة قرية من قرى افريقية[٦] . ولا خلاف بين المصادر والمراجع التي رجعت إليها في صحة هذا النسب .

٢– آثاره العلميّة :

كان ابن عرفة من بين العلماء الذين كرسوا جهدهم ووقتهم لمختلف العلوم والمعارف ، وترك تراثًا علميًا ضخمًا في علوم القرآن والتفسير والفقه والحديث والنحو والأصول والمنطق ، وقد قضى معظم سنوات حياته في الإملاء والتدريس ، وتفجرت عيون معارفه بصنوف من المؤلفات وبدائع من المصنفات في أكثر من ميدان ، وكان لها قدر جليل ، وأثر عظيم في النفوس ، فذاعت أقواله بين المسلمين في المشرق والمغرب ، رحل الناس إليه وأخذوا وانتفعوا بعلمه ولم يكن من بلاد المغرب من جرى مجراه في التحقيق ، وكانت تأتيه الفتوى من مسافة شهر[٧] ، وفيما يأتي بعض ما وصل إلينا من مصنفاته[٨] :

١ – تفسير القرآن الكريم ، والكتاب (مطبوع) طبعتين الأولى تضمنت سورة الفاتحة والبقرة ، تحقيق حسن

مناعي تونس سنة (١٩٨٦ هـ) .

والثانية : (تفسير ابن عرفة) تضمنت تفسير القرآن الكريم كاملًا بأربعة أجزاء ، تحقيق جلال الأسيوطي

– لبنان – سنة (٢٠٠٨ م) [٩].

٢ – الطرق الواضحة في عمل الناصحة[١٠].

٣ – المبسوط في سبعة أسفار ذكره السخاوي وقال عنه : ((إلاّ أنّه شديد الغموض..))[١١]

٤ – مختصر الحوفي في الفرائض اختصره اختصارًا وجيزًا [١٢].

٥ – المختصر الشامل في أصول الدين[١٣] .

٦ – كتاب في الفقه سمّاه (المختصر الكبير)[١٤] ، الذي يبلغ عشرة أسفار ، وهو أشهر مؤلفاته إذ انتشر شرقًا وغربًا ، ابتدأ تأليفه سنة (٧٧٢ هـ) وأتمّه سنة (٧٨٦هـ) وكان أهم آثاره ، وللكتاب شرحٌ ، شرحه لأبي عبد الله محمد الأنصاري الرصاع (ت ٨٩٤ هـ) وسمّاه شرح حدود ابن عرفة الموسوم (الهداية الكافية الشافية لبيان حقائق ابن عرفة الوافية) (وهو مطبوع) الطبعة الأولى سنة (١٩٩٣ م) [١٥].

٣ – آراء العلماء فيه ومكانته العلمية :

قال في ابن عرفة جملة من العلماء أقوالًا حسنة تبيّن آراءهم فيه ومقدرته العلمية والأدبية ، إذ أثنى عليه تلامذته ثناء جميلًا وامتدحه كل من ترجم له وفي ما يأتي آراء العلماء فيه :

قال ابن فرحون (ت ٧٩٩ هـ) : ((هو الإمام العلّامة المقرئ الفروعي والأصولي البياني المنطقي شيخ الشيوخ ، وبقية أهل الرسوخ[١٦] ... ، له التصانيف الغزيرة ، والفضائل العديدة ، انتشر علمه شرقًا وغربًا ، فإليه الرحلة في الفتوى ، والاشتغال بالعلم ، والرواية ،حافظًا للمذهب ، ضابطًا لقواعده إمامًا في علوم القران ، مجيدًا في العربية ، والفرائض والحساب ، وعلم المنطق وغير ذلك)) [١٧].

وقال ابن الجزري (ت ٨٣٣ هـ) : ((فقيه تونس وإمامها وعالمها وخطيبها ..))[١٨]، وقال ايضًا ((ولم تزل الحجاج ترد علينا بأخباره السارة حتى كنت في الديار المصرية سنة (٧٩٢ هـ) فقدمها حاجًّا فاجتمعنا به في القاهرة ... فاستجرته تجاه الكعبة المعظمة فأجازني وأولادي جميعًا ثمّ رجعنا الى الديار المصرية وأنشدته وأنشدني وتوجه الى بلاده ولم أرَ مغربيًا أفضل منه ، ولم يخلف بعده مثله))[١٩] وقال السيوطي (ت ٩١١ هـ) : ((قال أبو حامد بن ظهيره في معجمه : إمام علّامة .... ، برع في الأصول ، والفروع ، والعربية ، والمعاني ، والبيان ، والقراءات ، والفرائض والحساب ... ولم يكن بالغرب من يجري مجراه في التحقيق، وكانت الفتوى تأتي إليه من مسافة شهر))[٢٠]

وقال ابن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩ هـ) : ((قال ابن حجر العسقلاني : أجازني، وكتب لي خطة لما حجَّ ، وعلّق عنه اصحابه كلامًا في التفسير كثير الفوائد في مجلدين))[٢١] .

وقال ابن عاشور : ((وكان ابن عرفة من منتصف القرن الثامن منتصبًا لتدريس التفسير الى نهاية القرن ونهاية حياته ..... ، وكانت افواج الطلبة المتخرجة بين يديه في ذلك الدرس أجيالًا متعاقبة متتالية كما تخرجت منها طبقة ، فانتشرت تبث العلم في أرجاء البلاد المغربية أقبلت طبقة بعدها ترتوي كما ارتوت سابقتها من ذلك المنهل الفياض الذي لا يجف نبعه ولا ينقطع معينه))[٢٢] .

٤- وفاته :

ذكرت معظم كتب التراجم أنّ ابن عرفة توفي في تونس ليلة الخميس الرابع والعشرين من جمادي الآخرة سنة (٨٠٣ هـ) وقد بلغ من العمر سبعًا وثمانين سنة ،[٢٣]

المبحث الأول:

من أسرار التنكير والتعريف

حدَّ النحويون النكرة بأنها ما وضع لشيء غير معين، والمعرفة بأنّها ما دلَّ على شيء معين [٢٤]، وإنمّا كانت النكرة دالة على شيء غير معين لشيوعه بين أفراد كثيرين من نوعه، تشابهُ في حقيقته، ويصدق على كلٍّ منها اسمه، أمّا المعرفة فإنها دالة على شيء معين، لأنه متميز بأوصاف وعلامات لا يُشاركه فيها فرد من نوعه[٢٥].

وقد حشد ابن عرفة(ت٨٠٣ هـ) في تفسيره عدداً غير قليل من العلل النحوية، وهو يفسر آي الذكر الحكيم، منبهًا على أسرار تنكير بعض المفردات في مواطن معينة، وتعريفها في مواطن أُخرى، واقتضت طبيعة المادة أن يتوزع هذا المبحث على النحو الآتي:

أ. من أسرار التنكير

ب . تنكير لفظ وتعريف آخر في آية واحدة .

ت . تنكير لفظ وتعريف آخر في آيتين .

ث . تنكير لفظ في آيتين مختلفتين .

أ. من أسرار التنكير :. ويمكن إجمالها بما يأتي :

١. التعليل :. وقد استوقفت ابن عرفة أمثلة لهذا الضرب من ضروب تنكير المفردات القرآنية من ذلك بيانه السر وراء تنكير (مثوبة) في قوله تعالى:((وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ))[٢٦] إذ قال : ((التنكير هنا للتعليل، بمعنى أنّ الثواب من عند الله وإن قل في ذاته فهو

خير من ذلك كلّه))[٢٧] . على حين قال الزمخشري(ت ٥٣٨ هـ) :((أوثرت الجملة الاسمية على الفعلية في جواب (لو) لما في ذلك من الدلالة على ثبوت المثوبة واستقرارها،كما عدل عن النصب إلى الرفع في قوله تعالى: ((فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ[٢٨])) [٢٩]والتنكير في (لمثوبةٌ) يفيد أنَّ شيئًا من الثواب . وإنْ قلَّ . خيرٌ فلذلك لا يقال له قليل ونظيره قوله تعالى :((وَرِضْوَانٌ مِنْ اللَّهِ أَكْبَرُ[٣٠])) [٣١].

والذي يقتضيه النظر أنّ التعليل الذي نص عليه ابن عرفة بمنأى عن سياق الآية، ومن ثمّ كان الذي يتجاوب مع المقام أنه يكون المعنى على التقليل أي أن أدنى مثوبة خير أو أن المثوبة مهما قلت فهي خيرٌ ولاسيّما أنه وصف هذه المثوبة ب(من عند الله) ومما هو معلوم أن(من) في هذه الآية لابتداء الغاية أي أن مبدأ هذه المثوبة من عند الله، ألا ترى كيف عدل عن النصب الذي يقتضيه جواب(لو) إلى الرفع(لمثوبةٌ) إشعارًا بأن هذه المثوبة مستقرة ثابتة دائمة.

٢. التخصيص: وهو احد أغراض تنكير المفردة العربية، ولم يكن ابن عرفة غافلًا عنه، بل نص عليه ومثَّلَ له، ومن ذلك قوله تعالى: ((وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنْ الَّذِينَ أَشْرَكُوا))[٣٢]

قال ابن عرفة:((قال الزمخشري: نُكرت لأنها حياة مخصوصة وهي الحياة المتطاولة))[٣٣] .

وقال ابن عرفة : ((أريد بها هنا التعظيم والتهويل))[٣٤] وذهب البيضاوي(ت ٦٩١ هـ) إلى أن المراد من التنكير، التوبيخ والتقريع، أي لما زاد حرصهم وهم مقرون بالجزاء على المنكرين دلَّ على علمهم بأنهم صائرون إلى النار[٣٥] ومنهم من ذهب إلى أنّ الباعث وراء هذا التنكير في هذا الموضع التنويع أي: كيفما كانت تلك الحياة [٣٦] وهذه المعاني التي سجلها علماء البيان محتملة، إلا أنّ ثمة سرًّا بديعًا أغفله معظمهم، وهو أنّ يكون المقصود من: ((تنكير حياة، التحقير كما في قوله تعالى:((وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ[٣٧])) [٣٨] .

ومن ثمَّ يكون المعنى:((يحبون البقاء في الحياة، ولو كانت حياة بؤس وشقاء، أو كانت قليلة، لأنه يعلم بأنه يُرد إلى أشد العذاب))[٣٩] ، ويدلنا على ذلك أنّ الآية المباركة جاءت في سياق الكلام على اليهود وتشبثهم بالحياة وركونهم إليها، قال تعالى:((قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ * وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ))[٤٠] .

ويؤيد هذا المعنى ويعضده قوله في خاتمة الآية الكريمة محل البحث :((يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنْ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ))[٤١] وهم في كلّ ذلك حريصون على أتفه حياة وأرخصها ويفضلونها على الآخرة [٤٢].

٣. التعظيم :وهو غرض لفت ابن عرفة الأنظار إليه، وهو يفسر قوله تعالى: ((فَبِظُلْمٍ مِنْ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ))[٤٣].إذ قال :((التّنكير إمّا للتقليل إن كانت الآية تخويفًا وإنذارًا، أو للتعظيم إن أريد التشنيع على أهل الكتاب والتقبيح لفعلهم))[٤٤] .وذهب عدد من المفسرين إلى أنّ تنكير (ظلم) للتعظيم، ومن ثمَّ ذكّرهم بهذا العنوان لإيذان بكمال عظم ظلمهم بتذكير وقوعه بعد ما هادوا أي تابوا، بسبب ظلم عظيم خارج عن حدود الأشباه صادر عنهم((حرمنا عليهم طيبات أُحلت لهم))[٤٥].

فضلاً على المعاني التي سجلها مفسرو البيان يسبغ عليها صاحب الميزان دلالة أُخرى قائلاً:((وقد نكر لفظ الظلم وكأنه للدلالة على تفخيم أمره أو للإبهام .... فإنه تعالى جعل هذا الظلم منهم سببًا لتحريم الطيبات عليهم))[٤٦]

ويبدو أنّ الأقرب إلى الصواب أنّ يكون التنكير للتعظيم وكأنه لعظم ما اقترفوه من خطيئات حرمت عليهم الطيبات فكأنه ظلم فظيع فيه تجاوز لحدود الله وليس معنى التقليل مرادًا في هذا السياق لأنه تعالى قال:((وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ))[٤٧].وهذه مظنة رحمة الله ومغفرته وتجاوزه عن كثير من السيئات .

ومن أمثلة هذا الضرب تنكير(آية) في قوله تعالى:((وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا))[٤٨].

((أورد ابن عرفة هنا سؤالًا:قال: إنّه لو جاءتك آية على وفق تمنيهم لكانت مُعرفةً فكان يقال((لئن جاءتهم الآية ليؤمنُنَّ بها)) فلِمَ نُكرت ؟وأجيب بأنها نكرت تنكير تعظيم وتخصيص بالصفة أي آية مصرحة كما قالوا في قوله تعالى:((وَالْفَجْرِ*وَلَيَالٍ عَشْرٍ))[٤٩])) [٥٠] وقيل إنّ المعنى:((أيّةَ آيةٍ كانت من جنس ما تنحصر فيه الآيات في زعمهم، ومجيء الآية مستعار لظهورها؛ لأنّ الشيء الظاهر يشبه حضور الغائب فلذلك يستعار له المجيء))[٥١].

٤. التخفيف والتقليل: وهو ما وقف عنده ابن عرفة في سياق كلامه على قوله تعالى:((لَيَبْلُوَنَّكُمْ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنْ الصَّيْدِ))[٥٢] إذ قال:((تنكير شيء إمّا باعتبار تخفيف أمره وتقليل حكمه، وأمّا لكثرة أمجاده))[٥٣] .

ولعلّ المفسر قال رأيه هذا متأثرًا برأي الزمخشري الذي قال في هذه الآية:((ما معنى التقليل والتصغير في قوله تعالى :(بِشَيْءٍ مِنْ الصَّيْدِ) ؟. قلت:قلل وصغر ليعلم أنّه ليس بفتنة من الفتن العظام التي تدحض عنها أقدام الثابتين، كالابتلاء ببذل الأموال والأرواح))[٥٤] . ووجدت من تابع الزمخشري من المفسرين في هذا الغرض بقوله:((وإنّما هو ابتلاء سهل فإن الله تعالى امتحن امة محمد(صلى الله عليه وآله وسلم) بصيد البر كما امتحن بني إسرائيل بصيد البحر وصيد السمك))[٥٥].

وذهب السيد العلامّة السبزواري (رحمه الله) (ت١٤١٤هـ) في تفسير هذه الآية إلى أنّ مفاد التنكير للتكثير قال:((والتنكير في (بشيءٍ)
إمّا للتكثير أي كثير الصيد أو للتحقير به بالإضافة إلى الابتلاء ؛ليهون الأمر على المخاطبين أوللتنويع))[٥٦].

ب . تنكير لفظ وتعريف آخر في آية واحدة :

اعتنى ابن عرفة بهذا الغرض، منه ما ذكره في تعريف (القصاص) وتنكير (حياة) في قوله تعالى:((وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُوْلِي الْأَلْبَابِ))[٥٧] . وسر ذلك بينه بقوله:((صحة معناها؛ لان تنكير الحياة يفيد إمّا حياة عظيمة، أو نوع من الحياة إشارة لحسنه وغرابته بخلاف المثل، فإن معناه غير صحيح وحقيقته غير مراده))[٥٨]. ويبدو أنّ أبا السعود(ت ٩٥١هـ) وضع اليد على تعريف(القصاص) وتنكير(الحياة) إذ يقول:((وعرّف القصاص ونُكِّر الحياة ليدل على أنّ في هذا الجنس نوعاً من الحياة عظيماً لا يبلغه الوصف وذلك لأن العلم به يردع القاتل عن القتل فيتسبب لحياة نفسَين))[٥٩] .

ويبدو لي أنّ وراء التعريف والتنكير في الآية الكريمة ثمَّة معنًى خفيًا أغفله معظم علماء البيان فمعنى التنكير أوسع من القصاص وأعظم، والآية مشتملة على بيان النتيجة وبيان حقيقة المصلحة وهي الحياة، وهي متضمنة حقيقة المعنى المفيد للغاية، فإن القصاص هو المؤدي إلى الحياة دون القتل، فإنّ من القتل ما يقع عدوانًا ولا يؤدي إلى الحياة، وهي مع ذلك متضمنة للحث والترغيب، فإنها تدل على حياة مذخورة مغفول عنها متطاولة كقوله تعالى:((وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ))[٦٠] .فالقصاص كالمنبع للحياة والمُصرِف لها[٦١] .

وممَّا يندرج تحت هذا الباب ما جاء في القراءات في قراءة تعريف وتنكير (رسل) في قوله تعالى:((قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ))[٦٢] إذ وقف عندها ابن عرفة معللاً القراءتين إذ يقول :((قال:

ابن عطية قراءة التعريف تعظيم وتفخيم وتنويه بهم، وقراءة التنكير تيسير الأمر للنبي (صلى الله عليه وعلى آله وسلم)في معنى الحياة فكان تنويهاً بينه وبين النبيين عليه وعليهم وعلى آلهم السلام في ذلك))[٦٣].

على حين قال ابن عادل:((وقرأ ابن عباس (الرسل) بالتنكير: قال أبو الفتح: ووجهُها أنّه موضع تيسير لأمر للنبي (صلى الله عليه وعلى آله وسلم)من أمر الحياة ومكان تسوية بينه وبين البشر في ذلك، وكذلك يفعل في أماكن الاقتصاد وكقوله تعالى ((وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ))[٦٤] وقوله تعالى:((وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ))[٦٥].....)) [٦٦]

ت . تنكير لفظ وتعريف آخر في آيتين:. وهي ظاهرة نص عليها ابن عرفة مسجلًا ما تضمنته الآيتان من بدائع أسرار البيان القرآني، ومما يندرج تحت هذا النمط في تنكير (أحد) وتعريف (الصمد)في قوله تعالى :((قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ*اللَّهُ الصَّمَدُ))[٦٧] إذ قال:((فإن قلت: لِمَ نكر (أحد)وعرّف (الصَّمد)؟؛ فالجواب أنّ تنكير (أحد)جاء على الأصل في الأسماء التنكير، وإنّما عرّف (الصمد) لاختصاصه بالله تعالى ولا يوصف به غيره بوجه بخلاف الأحد))[٦٨] . فضلًا على ما ذكره المفسر قال صاحب الإعجاز اللغوي والبياني عن حكمة تنكير(أحد) : ((حكمة تنكير (أحد) أنها مسبوقة بكلمتين معرفتين (هو الله أحد) وهما مبتدأ وخبر ..... وبما أنّ المبتدأ والخبر معرفتان ودلالتهما على الحصر فقد استغني بتعريفهما ودلالتهما على الحصر عن تعريف (أحد)، فجاء لفظ (أحد) نكرة على أصله، لأن الأصل في الكلمة التنكير ، فهو نكرة وإعرابه خبر ثانٍ كما أنّ لفظ (أحد) جاء على التنكير للتعظيم والتفخيم والتشريف والإشارة إلى أنَّ الله تعالى فرد احد لا يمكن تعريف كيفيته والإحاطة به سبحانه وتعالى))[٦٩]

ث . تنكير لفظ في آيتين مختلفتين : عمد ابن عرفة إلى جلاء هذه الخصيصة في هذا الغرض في تنكير(سفاهة)في قوله تعالى :((إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ))[٧٠]

وقوله تعالى: ((لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ))[٧١] إذ قال:((إن قوله تعالى ((إنّا لنراك في سفاهة))التنكير للتعظيم وقوله تعالى:((ليس بي سفاهة))التنكير للتقليل))[٧٢] وهو معنى بخلاف في دلالته لما قاله الزمخشري، جاء في الكشاف:((ويجوز أنّ يكون وصفاً واردًا للذم لا غير في (سفاهة)وجعلت السفاهة ظرفًا على طريق المجاز))[٧٣] ،((والسفاهة مصدر على وزن فعالة مأخوذ من الفعل الثلاثي (سفه) والمعنى حمق وخفة عقل))[٧٤]

ويجوز أنّ يكون معنى التنكير المتحصل من مقام الآية المباركة النوعية أي :ليس بي أي نوع

من انواع السفاهة فضلاً على معنى التقليل فبدل أنّ يقول: ليس بي أي نوع من أنواع السفاهة ولا أدنى سفاهة ، قال: ليس بي سفاهة ،وهذا السبيل مظنة توسع في المعنى بأيسر طريق وأسهله ، بخلاف قولهم :(إنا لنراك في سفاهة) إذ المراد منه التفخيم والتعظيم ، وثمّة ملحظ يمكن بمقتضاه توجيه هذا المعنى ،وهذا الملحظ استعمالهم الحرف (في) الدال على الظرفية ،ومن ثم يكون طبقًا لمعتقدهم منغمسًا في السفاهة متلبسًا فيها .

المبحث الثاني:

من أسرار التقديم والتأخير

وهو أحد الأساليب البلاغية التي استثمرها التعبير القرآني، إذ هو ((بابٌ كثير الفوائد، جمُ المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية يروقك مسمعه، ويلطف لديك موقعه))[٧٥]. يقول الزركشي(ت٧٩٤هـ) :((هو احد أساليب البلاغة، فإنهم أتوا به دلالة ((على تمكنهم في الفصاحة وملكتهم في الكلام وانقياده لهم، وله في القلوب أحسن موقع وأعذب مذاق))[٧٦] فهو باب تتبارى فيه الأساليب ،وتظهر المواهب والقدرات، إذ يراعى فيه طلاوة رصف الألفاظ بعضها على بعض، وجودة سبك أجزاء الجملة ومن ثم أسبغ ذلك عليها مسحة من الجمال، ورشاقة في الأسلوب.

فالتعبير القرآني ينتقي المواطن التي يقدّم فيها لفظًا ويؤخر آخر بحسب مقتضى الحال وما يقتضيه السياق الذي به يتحصل المعنى المقصود في الأساليب القرآنية التي أودعها الله في كتابه العزيز فكانت دراستهم لموضوع التقديم والتأخير أكثر عمقًا ورسوخًا في الأذهان.

ويندرج ابن عرفة في جملة هؤلاء الذين كشفوا عن المعاني البلاغية في الأسلوب القرآني الخاص بالتقديم والتأخير، وقد أولى ابن عرفة عنايةً بهذا الفن وحاول أنّ يرصد طُرفًا من أسرار التقديم والتأخير،وقد تلقف الباحث تلك الطُرف في هذا الباب ودرسه على النحو الآتي.

أ. تقديم المفعول به على فعله .

ب . تقديم الجار والمجرور :

١. تقديم الجار والمجرور على الاسم.

٢. تقديم الجار والمجرور على الفعل .

٣. تقديم الجار والمجرور على المفعول به .

٤. تقديم وتأخير الجار والمجرور في سياق النفي .

أ. تقديم المفعول به على فعله :

الأصل في الجمل التي تحتوي مفعولاً به أنّ يؤتى بالفعل، فالفاعل، فالمفعول به.[٧٧] وهذا هو الترتيب الطبيعي للجملة العربية، فإذا جيء به مقدماً على فعله تعين السؤال عن سر هذا التقديم. وفي هذا المبحث نحاول أنّ نلقي الضوء على ابرز ما اقتنصه ابن عرفة من شذرات هذا الفن وبيان بواعث التقديم عنده، وهي محصورة بأغراض متعددة سأشير إلى طُرُف منها إذ كان الاستقصاء في هذا الميدان بعيد المنال .

الاختصاص: وهو أصل كبير، وباب جليل، كان مظنة لكثير من أسباب تقديم المفعول به[٧٨]، وقد اعتنى علماء اللغة بهذا الغرض وأرجعوا معظم أسباب التقديم إليه، وقد جنى ابن عرفة من ثماره ففي تفسيره قوله تعالى:((إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ))[٧٩] أدلى بسؤالين :الأول:((فإن قلت :لِمَ قُدِّر الفعل متأخراً؟ فالجواب: إنّما قدرهُ كذلك ليفيد الاختصاص، لأنهم كانوا يقولون: واللّات والعُزَّى، ويبدؤون بآلهتهم، قُدّم اسم الله هنا((للتوجيه والحصر))[٨٠] .

وهذا الرأي متساوقٌ ومتناغمٌ مع قول الزمخشري:((صَرَّحَ بتقديم الاسم إرادة للاختصاص، والدليل عليه قوله تعالى :((بِاسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا))[٨١] فإن قلت: فقد قال ((اِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ))[٨٢].فقدم الفعل قلت: هناك تقديم الفعل أوقع لأنها أول سورة نزلت فكان الأمر بالقراءة أهم))[٨٣] يلاحظ في النص القرآني أنّ ثمّة دلالات تكمن في هذه الآية الكريمة، وهذه الدلالات أبرزتها ظاهرة التقديم والتأخير وخصيصة استعمال العوامل والمعمولات فتقديم المعمول (إيّاك) في الجملتين للحصر؛ أي إننا نعبدك دون سواك، ونتيجة هذا الحصر توحيد العبادة وتوحيد الأفعال [٨٤]. هذا عن تقديم الضمير أمّا عن تكراره فيذكر الكرماني (ت٥٠٥هـ):(كرر إياك وقدّمه)ولم يقتصر على ذكره مرة؛ لأنّ في التقديم فائدة وهي قطع الاشتراك ،و لو حذف لم يدل على التقديم ؛لأنك لو قلت إيّاك نعبد ونستعين لم يظهر أنّ التقدير(إيّاك نعبد وإياك نستعين) أم: إيّاك نعبد و نستعينك؛ فكرره))[٨٥].

وأذهب مع من يرى أنّ تكرار الضمير مع الفعلين المختصين في الله تعالى أقوى في الدلالة منه لو اكتفى بالعطف [٨٦].

ويبدو لي أنّ الذي يقتضيه السياق ويتجاوب معه المعنى المراد أن يكون (إيّاك) مقدماً على عامله إيذاناً بالاختصاص، إذ الإخلاص لله تعالى هو أصل العبادات برمتها.

ب . تقديم الجار والمجرور: يعمد التعبير القرآني إلى تقديم الجار والمجرور على عامله، اسماً كان أو فعلاً ؛وذلك بحسب ما يقتضيه السياق والمعنى فتراه يقدم في موطن ويؤخر في موطن آخر، مراعيًا في ذلك حسن التنسيق ودقة الاختيار، كلّ ذلك يضعه وضعًا فنيًا في غاية الروعة والجمال .وقد استطاع ابن عرفة أنّ يضع يده على بعض أنفس جواهر التعبير القرآني في باب التقديم والتأخير، وانحصرت أسباب التقديم والتأخير عنده فيما يأتي:

١. الاهتمام.
٢ . الحصر.
٣. الفاصلة القرآنية
٤. الاختصاص .
٥. التشريف.

وسأدرس تقديم الجار والمجرور على النحو الآتي:

١. تقديم الجار والمجرور على الاسم: ممّا يفيد الاهتمام والحصر في هذا الباب قوله تعالى :((وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى))[٨٧] قال ابن عرفة: ((تقديم المجرور للاهتمام والحصر))[٨٨]. وقال أيضاً :((والمنتهى هنا ليس إّلا إلى الله ولا يتوهم أنّه لغيره، وهو أخص أو مساو فهو المبتدأ أو المبتدأ انحصر في الخبر، واستعمال لفظ الربّ هنا تغليبًا لجانب الرحمة والإحسان))[٨٩]. ويرى ابن عطية (ت ٥٤٦هـ) أنّ ثمّة حذف مضاف والتقدير((إلى عذاب ربّك أو رحمته المنتهى))[٩٠] .إذ إنّ الخطاب عام فهو تهديد بليغ للمُسيء، وهو حث شديد للمحسن [٩١].

وتعد مظان النكت مما ذكره علماء البيان في هذا الميدان أنّ دلالة الآية الكريمة هي (الاختصاص) أي: اختصاص ذلك بالله تعالى؛ والدليل على ذلك قوله تعالى:((لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ))[٩٢]. ولا أظن ذلك للإختصاص وإنما لتوافق رؤوس الآيات الكريمة كلّها أتت على سياق واحد.

ومما يندرج تحت هذا الغرض تقديم الجار والمجرور مع لفظ الجلالة (لله) في قوله تعالى: ((وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ))[٩٣]. وفي ذلك يقول ابن عرفة :((إما باعتبار الملك أو باعتبار الخلق والاختراع: وقدّم المجرور وهو خبر إمّا للحصر أو التشريف، فإن كان باعتبار الملك فالحصر ظاهر، وإن كان باعتبار الخلق والاختراع فينكره المعتزلي))[٩٤].

٢. تقديم الجار والمجرور على الفعل: وممّا يفيد الاختصاص قول ابن عرفة في تفسيره قوله تعالى:

((عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ))[٩٥]،وفي ذلك يقول ابن عرفة:((بأنّ تقديم المجرور للتشريف، والاعتناء للاختصاص لأنّه مستفاد من مادة التوكل))[٩٦] .وهذا من دعاء إبراهيم (عليه السلام) وأصحابه وتقديم الجار والمجرور لقصر التوكل والإنابة والمصير إلى الله تعالى وضعّفه أبو السعود(ت٩٥١ هـ)[٩٧]. وهذا رأي حسن ذكره الشوكاني (ت١٢٥٠ هـ)[٩٨] . ومن أمثلة هذا الغرض تقديم الجار والمجرور على الفعل في قوله تعالى :((وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ))[٩٩] .إذ بيّن ابن عرفة سر تقديم الجار والمجرور بقوله :((تقديم الجار والمجرور أمّا للحصر أو لرؤوس الآيّ أو النشر))[١٠٠].

وذهب أبو حيان (ت ٧٤٥هـ)إلى مذهب آخر معللًا تقديم (إليه) بقوله ((أي: إلى حكمه وقضائه وجزائه.(تحشرون) يريد البعث والجمع في الآخرة بعد التفرق في الدنيا والاضمحلال))[١٠١].

وممّا يدخل في هذا السياق قوله تعالى:((تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ))[١٠٢].فقال ابن عرفة:((إن قلت: لِمَ أخر في الجملة الأولى المجرور الذي هو مفعول في المعنى وقدّمه في الثانية؟ فهلا قيل: ترجي منهنَّ من تشاء، أو يقال: تأوي من تشاء إليك. قال والجواب :أن تقدم المجرور في الثانية [١٠٣] تشريف له (صلى الله عليه وعلى آله وسلم).))[١٠٤]. وفي تفسير الآيتين المذكورتين آنفًا الملاحظ أنّ ابن عرفة كشف عن سر تقديم المجرور في سياق التعبير القرآني لهما، على حين لم نجد ذلك عند أغلب علماء البيان ممّن سبقه ولحقه.

٣. تقديم الجار والمجرور على المفعول به: لم ينحصر تقديم الجار والمجرور على الاسم والفعل بل تعداه إلى المفعول به وهذا ما رصده ابن عرفة وهو يكشف السر وراء التقديم في قوله تعالى:((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُم))[١٠٥]. ومنّه ما جاء في تفسيره إذ يقول:((قدم هنا المجرور على المفعول به ((يبسطوا إليكم أيديهم))، ثمّ قال ((فكف أيديهم عنكم)) فقدم المفعول به على المجرور، فالجواب أنّ الآية خرجت مخرج التسلية للنبي (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) والامتنان على المؤمنين بأن الله تعالى لم يخذلهم ولم يُمكَن عدوهم منهم، وذَكَر فيها جملتين: إحداهما محكية عن الكفار

والثانية وهي مثبتة، فكان الأعم فيها تقديم الممنوع لا تقديم الممنوع منه))[١٠٦].
ويرى أبو السعود أنّ تقديم الجار والمجرور على المفعول به للمسارعة إذ يقول:((وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح للمسارعة إلى بيان رجوع ضرر البسط وغائلته إليهم حَمْلًا لهم من أول الأمر على الاعتداد بنعمة دفعهِ.....، (وإظهار أيديهم) في موقع الإضمار لزيادة التقرير، أي منع أيديهم أن تمّد إليكم عقيب همهم بذلك))[١٠٧] .

٤. تقديم الجار والمجرور وتأخيره في سياق النفي:. ممّا ورد في تفسيره من هذا الضرب قوله تعالى : ((لَا رَيْبَ فِيهِ))[١٠٨] .قال ابن عرفة: ((فإن قلت لِمَ أخر المجرور هنا وقدمه في قوله تعالى:((لَا فِيهَا غَوْلٌ))[١٠٩] و((وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَة))[١١٠] ؟.
فالجواب أنّ المراد نفي الريبة بالإطلاق فيتناول جميع الكتب من التوراة والإنجيل والقرآن ، فليس نفي الريبة خاصًا بالقرآن فقط، بل هو عام بخلاف ما لو قيل (لا فيه ريب) لأوهم خصوص النفي به وبخلاف (وعلى أبصارهم غشاوةٌ) فأن الغشاوة بأبصارهم دون أبصار المؤمنين))[١١١].
وعلل الفخر الرازي(ت٦٠٦هـ) التقديم والتأخير في سياق كلامه على الآية المباركة بقوله:((لأنّهم يقدمون الأهم فالأهم، وهنا نفي الريب بالكلية من الكتاب ولو قلت: لا فيه ريب لأوهم أنّ هناك كتابًا آخر حصل الريبة لا هاهنا، كما قصد في قوله (لا فيها غول) تفضيل خمر الجنة على خمر الدنيا، فإنها لا تختال العقول كما تختالها خمر الدنيا))[١١٢]. ومن علماء البيان من ذهب إلى أنّ تقديم(لا فيه غول) للاختصاص أي أنّ خمر الجنة لا تختال عقول المؤمنين بل هي شراب لذيذ، فإن كانت خمر الدنيا تختال عقول شاربيها، فإنّ خمر الجنة اختصت بعدم ذلك.

كما أنّ هذا التقديم في سياق النفي يدل على تفضيل خمر الجنة على خمر الدنيا، وأمّا تأخيره فإنها تفيد النفي فقط، كما في قوله (لا ريب فيه) فكذلك إذا قلنا لا عيب في الدار؛ كان معناها نفي العيب في الدار، وإذا قلنا لا في الدار عيب، كان معناه: إنها تفضل على غيرها بعدم العيب [١١٣] .

ويتراءى لي ممّا ذهب إليه علماء البيان أنّ تقديم المعمول يفيد الاختصاص، وهو معنى فهمه الشيخ أبو حيان (ت٧٤٥هـ) من كلام الزمخشري (ت٥٣٨هـ) وغيره وهو ما عليه محققو البيانيين وهو غالب لا لازم بدليل قوله تعالى:((كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ))[١١٤]. وقوله: ((أَفِي اللَّهِ شَكٌّ))[١١٥]. فجعلوا ما بعد الظرف مبتدأ[١١٦].

المبحث الثالث:

من أسرار الحذف

وهو فن من الفنون البلاغية التي تستعملها العرب إذ ورد في الكتاب((هذا باب مّا يكون في اللفظ من الأعراض: اعلم أنّهم ممّا يحذفون الكلم وإن كان أصله من الكلام غير ذلك، ويحذفون ويعوضون ويستغنون بالشيء عن الشيء الذي أصله في كلامهم أن يستعمل حتى يصير ساقطًا))[١١٧]. ولله درّ الشيخ عبد القاهر الجرجاني حين وصف باب الحذف بقوله:((هو باب دقيق المسلك لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة، أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق)[١١٨]. وهو دليل الفصاحة والملكة بالكلام، وله في القلوب أحسن الوقع وأعذب المذاق.

وقد بثّ ابن عرفة في أثناء تفسيره ضروبًا من هذا الفن يمكن ذكرها كالآتي:

١. حذف الفاعل:

٢. حذف المضاف:

٣. حذف التقابل.

٤. حذف حرف التنبيه(الهاء).

٥. حذف حرف الزيادة(الفاء).

١. حذف الفاعل: يحذف الفاعل في مواطن، والسر في ذلك للتعظيم أو التحقير، كقوله تعالى:((زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ))[١١٩]. قال ابن عرفة:((انظر لم حذف الفاعل؟ حذف الفاعل أمّا تحقيرًا له إن كان المزيّن الشيطان، أو تعظيمًا إن كان المزينّ الله ،قال ابن القصار: أو حذف الفاعل للاهتمام حسبمّا ذكر البيانيون أنَه إذا كان المقصود بالذات المفعولة يختص بالفاعل من اللفظ، ويكتفي بذكر المفعول إشارة إلى أنّه هو الله))[١٢٠]. وذهب عدد من علماء البيان إلى أنّ قراءة (زُيّن لهم سوء أعمالهم) مبنياً للمفعول والأولى أن يكون المنسوب إليه التزيين الشيطان، وقرأ زيد بن علي (زَيَن) لفتحتين و(سوء) بالنصب، والأولى أن يكون زين لهم ذلك الفعل سوء أعمالهم[١٢١].وقد ينسب إلى الشركاء أي الأصنام كما في قوله تعالى:((وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنْ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ))[١٢٢]. وربمّا نسب تزيين الأعمال السيئة إلى الله سبحانه وتعالى، ولا ينسب الشر إليه سبحانه إلا مّا قصد به الجزاء على الشر كقوله:((

إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ))[١٢٣]. وقوله تعالى :((يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ[١٢٤])) [١٢٥] .

وقد يكون الغرض من حذف الفاعل للتحقير والتغليظ والعموم كقوله تعالى:((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ)) [١٢٦] إذ وقف ابن عرفة عنده إذ قال:((قال الزمخشري:((حذف الفاعل من (قيل لكم) تحقيرًا للمفعول أن يذكروا معه، وقال ابن عطية: للتغليظ عليهم ،وقال الفخر الرازي :وهل حذف قصدًا لعموم النهي للمؤمنين إلى يوم القيامة))[١٢٧].

وممّا يندرج تحت هذا الغرض قوله تعالى:((يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ))[١٢٨]. إذ قال ابن عرفة:((فإن قلت: لِمَ قال:(يُحلَّونَ) فحذف الفاعل وبناه للمفعول، وقال:(ويَلْبسَون) ولم يحذف الفاعل؟ فالجواب: إنّ اللباس ساتر للعورة فيلبسه الإنسان منفعة خشية التكلف على عورته والتحلية ليس فيها كشف عورة ،فلا يتكلف استعمالها بيده، بل يستنيب من يكفيه مؤنتها))[١٢٩].

ويبدو أنّ هذا المعنى الذي تحصل لابن عرفة مستنبط من قول الرازي:((ويحتمل أن يكون اللبس إشارة إلى ما استوجبوه بعملهم ،وأن الحُليّ إشارة إلى ما تفضل الله عليهم ابتداء من زوائد الكرم))[١٣٠].

ومن أمثلة هذا الغرض أيضًا قوله تعالى:((يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمْ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ))[١٣١].فقال ابن عرفة وهو يفسر علة حذف الفاعل في قوله((لئن أخرجتم)):((حذف الفاعل لبعضهم له استعمال لذكره، ولا يناسب هنا التحقيق، لأنهم أحقر من ينسب إليهم ذلك))[١٣٢] .

٢. حذف المضاف: وهو واحد من الأساليب البلاغية إذ أكده الأسلوب القرآني في مواضع كثيرة والسر في ذلك الإيجاز بإثبات المعاني الكثيرة باللفظ القليل، وقد يكون الغرض من حذف المضاف للتعظيم والتشريف كقوله تعالى:((إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ))[١٣٣].وفي ذلك قال ابن عرفة:((أي يحاربون عباد الله فهو على حذف المضاف أو يكون عبَّر باسم تعالى تشريفًا لهم وتعظيمًا لهم؛لأجل محاربتهم لهم فيكون مجازًا فيتعرض المجاز والإضمار))[١٣٤] اعلم أنّ السر الذي يكمن وراء حذف المضاف وذكر اسم (الله) للتعظيم والتفخيم لمن يحارب الله ورسوله والدليل قوله تعالى:((إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ))[١٣٥] . أي المقصود أنهم

يحاربون رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) هذا اولاً[١٣٦] وثانيًا : يبدو أنّ دلالة الآية الكريمة تتعلق بالأحكام الشرعية فتقدير حذف المضاف هو: إنّما جزاء الذين يخالفون أحكام الله وأحكام رسوله ويسعون في الأرض فساداً[١٣٧].

قوله تعالى:((إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ))[١٣٨]. يقول ابن عرفة:((قالوا إمّا كونهم مظروفين في الجنة فظاهر، وإمّا حلولهم في العيون فلا يتصور، فلا بدّ من حذف مضاف أي: في نعيم جنات وعيون))[١٣٩]. والتركيب يحتمل أن يكون لجميع المتقين جنات وعيون أو لكل واحد منهم جنات وعيون أو لكل واحد منهم جنة وعيون [١٤٠]. وثمّة معنًى آخر مقتضاه أنّ المتقينّ منّهم في بساتين وعيون مياه[١٤١].

ومنّ أمثلة هذا الضرب قوله تعالى:((يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ))[١٤٢]. قال ابن عرفة:((فهو على حذف مضاف أي اسمعوا تلاوة يوم يجمع الله الرسل))[١٤٣]. وورد في تفسير الميزان:((وذكر جمع الرسل دون أن يقال: يوم يقول الله للرسل، لمكان مناسبة مع جمع الشهداء للشهادة))[١٤٤]. لأنهم الشهداء عليهم وهم أتباع لهم[١٤٥]. وقيل ((إنّه كلام مستأنف، مسبوق لبيان ما جرى بينه وبين الرسل جميعاً، ويوم ظرف زمان متعلق بمحذوف تقديره: اذكر))[١٤٦] .

ويبدو أنّه ليس ثمّة مضاف كما يقول ابن عرفة إذ لا معنى لـ: اسمعوا تلاوة يوم يجمع الله الرسل إذ ليس ثمّة تلاوة في ذلك اليوم .

والذي يتحصل ممّا هو مراد من معنى الآية أنّ المقصد اذكروا يوم يجمع الله الرسل فيكون يوم مفعولًا به أي اذكروا هذا اليوم، وحذف اذكر كثير مستفيض يعمد إليه المفسرون إذا ما اعتاص عليهم التأويل في هذا الموطن أو ذاك.

٣. حذف التقابل: وهو نوع من أنواع الحذف طرأ في سياق التعبير القرآني أن يحذف لفظًا في موطن ويقابله حذف في موطن آخر، وقد أطلق عليه ابن عرفة هذا الاسم وهو يفسر قوله تعالى:((قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ))[١٤٧]. إذ يقول:((وأمّا بأنّ الآية تتضمن حذف التقابل أي: فئة مؤمنة تقاتل في سبيل الله، وأخرى كافرة تقاتل في سبيل الطاغوت))[١٤٨].

ويبدو أنّ السر وراء عدم ذكر(مؤمنة) مدحًا لهم بما يليق بالمقام ورمزًا إلى الاعتداد بقتالهم،(وأخرى كافرة) بالله تعالى فهي أبعد من أن تقاتل في سبيله إنّما لم توصف بما يقابل صفة الفئة الأولى إسقاطًا لقتالهم وإيذانًا بأنهم لم يتصدوا له لمّا عراهم من الهيبة والوجل[١٤٩].

٤. حذف هاء التنبيه: الهاء وهو حرف كثير الاستعمال في السياقات اللغوية، وقد يحتمل هذا الحرف أكثر من دلالة في ذكره وحذفه، إذ أوضح ابن عرفة سر حذفه في قوله تعالى((هَا أَنْتُمْ أُوْلَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ))[١٥٠]. وقوله تعالى قبله: ((هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ))[١٥١].إذ يقول:((إن قلتِ لمَ قال:(ها أنتم أولاء) فحذفت هاء التنبيه من الثاني وقال قبله :(ها أنتم هؤلاء) بإثباتها في الأول والثاني؟ والجواب: عادتهم يجيبون بأن التنبيه يشعر بالقرب ،فلذلك لم يؤتَ بهاء التنبيه الدالة على القرب بخلاف تلك))[١٥٢]. وذهب الدكتور فاضل السامرائي في مسألة حذف هاء التنبيه وذكرها إلى أنّه حينما كان الخطاب للكفار كرر تنبيههم ولومهم ليتعظوا بخلاف الحذف، فإنّ الموقف لا يحتاج الى زيادة في التنبيه واللوم لأنه خطاب للمؤمنين،فالتنبيه أتى به في المكان المناسب بحسب الحاجة إليه[١٥٣].

٥. حذف حرف الزيادة التاء:

ومثاله ورد عند ابن عرفة في تفسير قوله تعالى:((فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا))[١٥٤]. إذ قال:((فإن قلت لِمَ حذفت التاء من اسطاعوا الأول وثبتت في الثاني؟ فأجاب أبو جعفر الزبير(ت٧٠٨هـ) بوجهين:

أحدهما: أنّ معمول الأول جملة، ومعمول الثاني مفرد والجملة أكثر حروفًا من المفرد فناسب حذف التاء من الأول دون الثاني ليتعادل.

الوجه الآخر: أنّ الظهور على السد أسهل من نقبه وأخف فناسب التخفيف بحذف التاء من عامله وهو (اسطاعوا)كما قالوا في صرصر البازي أي اللفظ فيه مناسب للمعنى))[١٥٥].

على حين ذهب بعض علماء البيان ممّن سبق ابن عرفة إلى أنّ المراد من حذف التاء في (فما اسطاعوا) تخفيفًا وحذرًا من تلاقي المتقاربين(التاء والطاء)وقرئ(فما اصطاعوا)بقلب السين صاد لمجاورة الطاء[١٥٦]. ويبدو أنّ الدكتور فاضل السامرائي أضاف إلى رأيه المشار إليه أنّ سر الحذف للتقليل من الفعل، فذكر (استطاعوا) بالتاء لأنها تحتاج إلى جهد كبير لنقب السد المصنوع من الحديد والنحاس بخلاف(اسطاعوا) فهي للصعود على ظهره؛ ومن ثم كان إحداث نقب بالسد أشد من الصعود على ظهره إذ هو يستغرق وقتاً أطول[١٥٧].

الخاتمة

نتائج البحث

الحمدُ لله ربِّ العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وأصحابه الغرّ الميامين .

وبعد هذا لقد منَّ الرحمن على الباحث أن تصدى لموضوع جليل ذي صلة وثيقة بالدرس القراني ، وسعى في هذه الاطلالة ، أن يقدم شخصية نحوية ، يحف بها الكثير من الغموض والإبهام ، الى المعنيين بالدرس النحوي .

وفي رحاب كتاب الله العزيز وفي ضوء تفسير ابن عرفة لا بدَّ من ذكر النتائج التي أسفر عنها البحث ، ولعل أهم النتائج مايأتي :

١ – ترك ابن عرفة أثرًا في فكر لاحقيه تجلى ذلك في خلال ما تلقفه عنه علماء يشار لهم بالبنان ولهم قدم في ميدان اللغة والنحو كالطاهر بن عاشور .

٢ – كان ابن عرفة يتلو النص القرآني ، ثمَّ يقف عند الآية أو الكلمة أو الحرف بالشرح والتحليل، ويسوق آراء علماء اللغة والنحو لإيضاح مفاد التراكيب ودلالاتها.

٣ – اعتنى ابن عرفة عناية خاصة بالتعبيرات القرآنية ولاسيّما النحوية منها، فأفصح البحث عن عنايته بأسرار التعبير القرآني النحوي ، فجاءت مباحثه على نسق ما سطرهُ أسلافه ، وإن كنا الفيناه التفت إلى ما لم يلتفت إليه الأوائل ، فكان بارعًا في هذا الميدان ،و متضلعًا في استشفاف النكت البلاغية والأسرار التعبيرية .

٤– افصحت هذه الدراسة عن شخصية نحوية واضحة المعالم ناقدة مناقشة ، إذ كان ابن عرفة راسخ القدم طويل الباع ، ضليعًا بعلم النحو ، فقد حاول أن يسجل ما عنَّ له في بعض مسائله ، وأن يوظف أقوال المتقدمين في استنباط القاعدة النحوية واستخلاص الرأي الذي يريد تقريره .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الهوامش

(١) التعبير القرآني ١٠و١٢.

(٢) ينظر الديباج المذهب ٢ / ٣٣١ ، والضوء اللامع ٩ / ٢٤٠ – ٢٤٢ ، والتفسير ورجاله ١٠٥ .

(٣) ينظر الديباج المذهب ٢ / ٣٣١ ، وغاية النهاية في طبقات القراء ٢ / ٢١٤ .

(٤) ينظر بغية الوعاة ١ / ٢٢٩ ، وشذرات الذهب ٩ / ٦١ .

(٥) ينظر شرح حدود ابن عرفة ٦١ .

(٦) ينظر الأعلام ٧ / ٤٣ ، وشرح حدود ابن عرفة ٣٨ ، ومعجم المؤلفين ٣ / ٦٨٣ .

(٧) ينظر الضوء اللامع ٩ / ٢٤٠ ، وبغية الوعاة ١ / ٢٢٩ .

(٨) ينظر الديباج المذهب ٢ / ٣٣٢ ، والضوء اللامع ٩ / ٢٤١ ، وهدية العارفين ٢ / ١٧٧ والإعلام ٧ / ٤٣ ، معجم المؤلفين ٣ / ٦٨٣ .

(٩) ينظر هدية العارفين ٢ / ١٧٧ ، والتفسير ورجاله ١٠٦،وتفسير ابن عرفة ٢/١ .

(١٠) ينظر الأعلام ٧ / ٤٣ .

(١١) ينظر الأعلام ٧ / ٤٣ .

(١٢) ينظر الديباج المذهب ٢ / ٣٣٢ .

(١٣) ينظر الأعلام ٧ / ٤٣ ،ومعجم المؤلفين ٣ / ٦٨٣ .

(١٤) ينظر الديباج المذهب ٢ / ٣٣٢ ، والأعلام ٧ / ٤٣ .

(١٥) ينظرشرح حدود ابن عرفة الموسوم الهداية الكافية الشافية ٣٧ .

(١٦) الديباج المذهب ٢ / ٣٣١ .

(١٧) المصدر نفسه ٢ / ٣٣١ – ٣٣٢ .

(١٨) غاية النهاية في طبقات القراء ٢ / ٢١٤ .

(١٩) غاية النهاية ٢ / ٢١٤ ، وينظر الضوء اللامع ٩ / ٢٤٠ – ٢٤٢ .

(٢٠) بغية الوعاة ١ / ٢٢٩ .

(٢١) شذرات الذهب ٩ / ٩٢ ، وينظر تفسير ابن عرفة ١ / ٧ (ترجمة المصنف) .

(٢٢) التفسير ورجاله ١٠٤ – ١٠٥ .

(٢٣) ينظر غاية النهاية ٢١٤/٢، والضوء اللامع ٢٤٢/٩، وبغية الوعاة ٢٣٠/١، و شذرات الذهب ٦٢/٩، وهدية العارفين ١٧٧/٢، ومعجم المؤلفين ٦٨٣/٣، والتفسير ورجاله ١٠٤ .

(٢٤) ينظر شرح الرضي٢٧٩/٣.

(٢٥) ينظر شرح المفصل للخوارزمي ٣٧٩/٢والنحو الوافي ١٨٨/١–١٨٩، وجامع الدروس العربية٩٢/١.

(٢٦) البقرة /١٠٣.

(٢٧) تفسير ابن عرفة ١٥٥/١.

(٢٨) الذاريات/٢٥.

(٢٩) الكشاف٣٠٧/١.

(٣٠) التوبة/٧٢.

(٣١) الدر المصون٢/٤٩.

(٣٢) البقرة/٩٦.

(٣٣) الكشاف ١/٣٠٠ ،واللباب في علوم الكتاب٢/٣٠٠.

(٣٤) تفسير ابن عرفة ١/١٤٩، وينظر روح المعاني ١/٣٢٩.

(٣٥) ينظر أنوار التنزيل وأسرار التأويل١/٩٥، وإرشاد العقل السليم١/١٣٢.

(٣٦) ينظر التحرير والتنوير١/٦١٧.

(٣٧) العنكبوت/ ٦٤.

(٣٨) ينظر الميزان ١/٢٦.

(٣٩) مواهب الرحمن١/٣٧٠، وينظر الأمثل ١/٢٠٣.

(٤٠) البقرة /٩٤-٩٥.

(٤١) البقرة /٩٦.

(٤٢) ينظر الامثل١/٢٠٣، و الدراسات النحوية في تفسير اللباب(إطروحة)١٢٨.

(٤٣) النساء/١٦٠.

(٤٤) تفسير ابن عرفة٢/٧١.

(٤٥) الكشاف٢/١٧٨، وينظر إرشاد العقل السليم٢/٢٥٣، وفتح القدير ١/٨٠٩.

(٤٦) الميزان٥/١٣٩.

(٤٧) النحل /٦١.

(٤٨) الأنعام/١٠٩.

(٤٩) الفجر/١-٢.

(٥٠) تفسير ابن عرفة ٢/١٨٢.

(٥١) ينظر التحريرو التنوير٧/٤٣٥.

(٥٢) المائدة/٩٤.

(٥٣) تفسير ابن عرفة٢/١٢٦.

(٥٤) الكشاف ٢/٢٩٣.

(٥٥) مفاتيح الغيب١٢/٩١.

(٥٦) مواهب الرحمن ١٢/٤٢٣، وينظر الفتح القدير٢/١١٢، والميزان٧/١٣٧.

(٥٧) البقرة /١٧٩.

(٥٨) تفسير ابن عرفة١/٢١٤، وينظر البرهان في علوم القرآن ٣/٢٢٤، والتحرير والتنوير٢/١٤٤.

(٥٩) إرشاد العقل السليم ١/٩٦،وينظر الكشاف١/٣٧٣.

(٦٠) البقرة/٩٦.

(٦١) ينظر الميزان ٤٣٤/١،والمباحث في إعجاز القرآن/١٣٤.

(٦٢) آل عمران/١٤٤.

(٦٣) تفسير ابن عرفة ٤٢٤/١، وينظر المحرر الوجيز ٥١٦/١.

(٦٤) سبأ /١٣.

(٦٥) هود/٤٠.

(٦٦) ينظر المحتسب ٢٢٦/١، المحرر الوجيز ٥١٦/١، واللباب في علوم الكتاب ٥٧٠/٥.

(٦٧) الإخلاص/١-٢.

(٦٨) تفسير ابن عرفة ٣٥٩/٤.

(٦٩) الإعجاز اللغوي و البياني في القرآن الكريم/٧٧٧.

(٧٠) الأعراف/٦٦

(٧١) الاعراف/٦٧.

(٧٢) تفسير ابن عرفة ٢٣٠/٢.

(٧٣) الكشاف ٤٥٨/٢، وينظر إرشاد العقل السليم ٢٣٨/٣، والميزان ١٨٠/٨.

(٧٤) المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم وقراءاته/٢٣٩،وينظر المنجد في اللغة/٣٣٨.

(٧٥) دلائل الاعجاز/١٠٦.

(٧٦) البرهان في علوم القرآن ٢٣٣/٣، البلاغة والتطبيق/١٤٤.

(٧٧) ينظر معاني النحو ٨٥/٢.

(٧٨) ينظر الدراسات النحوية في تفسير اللباب(إطروحة)/١٣٢.

(٧٩) الفاتحة/٥.

(٨٠) تفسير ابن عرفة ٢٦/١، وينظر الكشاف ١٠٢/١، والإعجاز اللغوي والبياني/٧٨٧.

(٨١) هود/٤١.

(٨٢) العلق/١.

(٨٣) الكشاف ١٠٢/١.

(٨٤) ينظر الأمثل ٣٨/١،ومواهب الرحمن ٣٧/١.

(٨٥) أسرار التكرار في القرآن ٦٥-٦٦.

(٨٦) ينظر الدرس النحوي في تفسير عبد الله شبر/٨٥(رسالة).

(٨٧) النجم/٤٢.

(٨٨) تفسير ابن عرفة ١٠٣/٤.

(٨٩) المصدر نفسه ١٠٣/٤.

(٩٠) المحرر الوجيز ٢٠٧/٥.

(٩١) ينظر التفسيرالكبير ١٩/٢٩، والتحرير والتنوير ١٤١/٢٧.

(٩٢) آل عمران/١٥٨،وينظر البرهان في علوم القرآن ٢٣٦/٣.

(٩٣) النساء/١٢٦.

(٩٤) تفسير ابن عرفة٢/٥٩.

(٩٥) الممتحنة/٤.

(٩٦) تفسير ابن عرفة٤/٢١٤.

(٩٧) ينظر إرشاد العقل السليم٨/٢٣٧.

(٩٨) فتح القدير٥/٢٩٩.

(٩٩) المؤمنون/٧٩.

(١٠٠) تفسير ابن عرفة٣/٢١٣.

(١٠١) البحر المحيط ٦/٦٣٨٥، وينظر المحرر الوجيز٤/١٥٣، و البحر المديد٥/٣٣.

(١٠٢) الاحزاب/٥١.

(١٠٣) يقصد قوله تعالى(وتؤوي اليك من تشاء) الاحزاب/٥١.

(١٠٤) تفسير ابن عرفة٣/٣٠٣.

(١٠٥) المائدة/١١.

(١٠٦) تفسير ابن عرفة٢/٩٧.

(١٠٧) ارشاد العقل السليم٣/١٣،وينظر روح المعاني٦/٨٤.

(١٠٨) البقرة/٢.

(١٠٩) الصافات/٤٧.

(١١٠) البقرة/٧.

(١١١) تفسير ابن عرفة١/٤٢، وينظر الكشاف١/١٤٥، ومعاني النحوٍ/١٣٨.

(١١٢) التفسير الكبير٢/٢١.

(١١٣) ينظر البرهان في علوم القرآن٣/٢٣٧،والأعجاز اللغوي والبياني٧٨٧-٧٨٨.

(١١٤) الانعام/٨٤.

(١١٥) ابراهيم/١٠.

(١١٦) ينظر البرهان في علوم القرآن٣/٢٣٧.

(١١٧) الكتاب١/٢٤-٢٥.

(١١٨) دلائل الاعجاز/١٤٦،وينظر الحذف البلاغي في القرآن الكريم/١٦.

(١١٩) التوبة/٣٧.

(١٢٠) تفسير ابن عرفة٢/٣٠٥-٣٠٦.

(١٢١) ينظر البحر المحيط٥/٤٣،ومختصر في شواذ القرآن/٥٨،وشواذ القراءات/٢٠٧، والدر المصون ٦ /٤٩.

(١٢٢) الانعام/١٣٧.

(١٢٣) النمل/٤.

(١٢٤) البقرة/٢٦.

(١٢٥) ينظر الميزان٢٨٢/٩، والامثل٣٦/٦.

(١٢٦) التوبة/٣٨.

(١٢٧) تفسير ابن عرفة٣٠٦/٢، وينظر الكشاف٤٤/٣، والمحرر الوجيز٣٤/٣، التفسيرالكبير ٦١/١٦.

(١٢٨) الكهف/٣١.

(١٢٩) تفسير ابن عرفة٨٨/٣.

(١٣٠) التفسير الكبير ١٢٣/٢١.

(١٣١) الحشر/١١.

(١٣٢) تفسير ابن عرفة١٩٧/٤-١٩٨(استعمالاً) .

(١٣٣) المائدة/٣٣.

(١٣٤)[1] تفسير ابن عرفة ١٠٨/٢، وينظر إعراب القرآن الكريم وبيانه ٢١٩/٥.

(١٣٥) الفتح/١٠.

(١٣٦) وينظر الكشاف٢٢٩/٢، واللباب في علوم الكتاب٧ /٣٠٣.

(١٣٧) ينظر اللباب في علوم الكتاب٣٠٣/٧، والميزان٣٣٣/٦.

(١٣٨) الحجر/٤٥.

(١٣٩) تفسير ابن عرفة٦/٣.

(١٤٠) ينظر فتح القدير١٩١/٣.

(١٤١) ينظر الإعراب المفصل لكتاب الله المرتل٨٦/٦.

(١٤٢) المائدة/١٠٩.

(١٤٣) تفسير ابن عرفة١٣٢/٢.

(١٤٤) الميزان١٩٨/٦.

(١٤٥) ينظر مواهب الرحمن٥٩١/١٢.

(١٤٦) إعراب القرآن الكريم وبيانه٣١١/٧.

(١٤٧) آل عمران/١٣٢.

(١٤٨) تفسير ابن عرفة٣٥٣/١.

(١٤٩) ينظر روح المعاني٩٥/٣.

(١٥٠) آل عمران/١١٩.

(١٥١) آل عمران/٦٦.

(١٥٢) تفسير ابن عرفة٤٠٣/١.

(١٥٣) ينظر التعبير القرآني٩٩-١٠٠.

(١٥٤) الكهف/٩٧.

(١٥٥) تفسير ابن عرفة١٠٣/٣، وينظر درة التنزيل وغرة التأويل٨٨٣/٢، وبلاغة الكلمة/١٠.

(١٥٦) ينظر الكشاف ٣ /٦١٦، والتفسير الكبير ١٧٣/٢١، وإرشاد العقل السليم٢٤٦/٥، وروح المعاني٤١/١٦.

(١٥٧) ينظر اسرار البيان في التعبير القرآني/٧.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم

١- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود (ت ٩٥١ هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة الرابعة ١٩٩٤ .

٢ – أسرار البيان في التعبير القرآني ، الدكتور فاضل صالح السامرائي، دار الفكر ، بيروت – لبنان ، الطبع الأولى ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م .

٣- أسرار التكرار في القران المسمّى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان لتاج القراء محمود بن حمزة الكرماني المتوفى نحو (٥٠٥ هـ) دراسة وتحقيق عبد القادر أحمد عطا ، دار الفضيلة (د.ط)(د.ت).

٤- الإعجاز اللغوي والبياني في القران الكريم ، جمع وإعداد الباحث علي بن نايف الشحود ، السعودية (د.ط) (د.ت).

٥- إعراب القران الكريم وبيانه ، محييّ الدين الدرويشي (ت ١٤٠٢ هـ)، اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق – بيروت ، الطبعة السابعة ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م .

٦- الإعراب المُفصل لكتاب الله المرتل ، بهجت عبد الواحد صالح ، دار الفكرللنشر والتوزيع ، بيروت – لبنان (د.ط).(د .ت).

٧- الأعلام : قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعمرين والمستشرقين : تأليف خير الدين الزركلي ، دارالعلم للملايين ، بيروت – لبنان ، الطبعة الخامسة عشرة (٢٠٠٢ م) .

٨- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ، آية الله العظمى الشيخ ناصر المكارم الشيرازي ، بيروت – لبنان، مطبعة الأميرة – الطبعة الثانية ، ٢٠٠٩ م .

٩- أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي ، ناصر الدين أبو الخير عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي الشافعي البيضاوي (ت ٦٩١ هـ)دار إحياء التراث العربي ، بيروت – لبنان (د.ط).(د.ت).

١٠- البحر المديد في تفسير القران المجيد ، للإمام العلامة أبي العباس أحمد محمد المهدي ابن عجيبة الحسني

(ت١٢٢٤ هـ) تحقيق عمر أحمد الراوي، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ،الطبعة الثانية (١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥ م) .

١١–البرهان في علوم القران للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركش (ت٧٩٤هـ) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، مكتبة دار التراث ، القاهرة.(د.ط)(د.ت)

١٢– بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة : للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت ٩١١ هـ) ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر ،الطبعة الثانية (١٣٩٩ هـ – ١٩٧٩ م) .

١٣– بلاغة الكلمة في التعبير القرآني ، الدكتور فاضل صالح السامرائي ،القاهرة الطبعة الثانية (١٤٢٧ هـ – ٢٠٠٦ م).

١٤– البلاغة والتطبيق ، الدكتور أحمد مطلوب والدكتور كامل حسن البصيروزارة التعليم العالي والبحث العلمي، الطبعة الأولى (١٤٠٢ هـ ، ١٩٨٢ م).

١٥– التعبير القرآني ، الدكتور فاضل صالح السامرائي،دار عمار،عمان– الأردن ،الطبعة الخامسة ، ٢٠٠٧م

١٦– تفسير ابن عرفة (ابي عبد الله محمد بن محمد بن عرفة الورغمي ت ٨٠٣هـ) تحقيق جلال الأسيوطي ، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى ٢٠٠٨ م

١٧– تفسير البحر المحيط ، لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي (ت ٧٤٥ هـ) ، دراسة وتحقيق وتعليق ، الشيخ عادل أحمد عبد المعبود ، والشيخ علي محمد معوض ، دار الكتب العلمية ، بيروت– لبنان ، الطبعة الأولى (١٤١٣ هـ – ١٩٩٣ م).

١٨– تفسير التحرير والتنوير ، محمد الطاهر بن عاشور ، الدار التونسية للنشر ، تونس ١٩٨٤م .(د.ط).

١٩– تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب للإمام محمد الرازي فخر الدين (ت ٦٠٦هـ) ، دار الفكر للطباعة والنشر ،بيروت – لبنان، الطبعة الأولى (١٤٠١ هـ – ١٩٨١ م) .

٢٠– تفسير القرآن العظيم (مواهب الرحمن) للسيد عبد الأعلى السَبزَواري ، مؤسسة التأريخ العربي، بيروت – لبنان،الطبعة الأولى (١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م)

٢١– التفسير ورجاله : محمد الفاضل الطاهر بن عاشور (ت١٣٩٣هـ) ،طبع في تونس (١٩٦٦ م) (د.ط).

٢٢– جامع الدروس العربية ، مصطفى الغلاييني (١٨٨٦ – ١٩٤٤)، دار الفكر للنشر والتوزيع –عمان، الطبعة الأولى (١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م).

٢٣– الحذف البلاغي في القران الكريم ، مصطفى عبد السلام أبو شادي ، مكتبة القران للطبع والنشر والتوزيع ، القاهرة – مصر (.د.ط).(د.ت).

٢٤– الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ، أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي (٧٥٦ هـ) ، تحقيق الدكتور أحمد محمد الخرّاط – دار القلم دمشق .(د.ط).(د.ت).

٢٥– درّة التنزيل وغرّة التأويل ، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهاني المعروف بالخطيب الإسكافي المتوفى سنة (٤٢٠ هـ) دراسة وتحقيق وتعليق الدكتور محمد مصطفى آبدين ، ، جامعة أم القرى ، السعودية ،الطبعة الأولى(١٤٢٢هـ – ٢٠٠١ م) .

٢٦– دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني ، (ت ٤٧١ – أو – ٤٧٤ هـ)قرَأهُ وعلق عليه محمود

محمد شاكر ، مطبعة الخانجي للطباعة والنشر ، القاهرة،الطبعة الخامسة ٢٠٠٥ م .

٢٧- الديباج المذهّب في معرفة أعيان المذهب : لابن فرحون اليعمري (ت ٧٩٩ هـ) ، دار التراث .(د.ط).(د.ت).

٢٨- روح المعاني في تفسير القران العظيم والسبع المثاني ، لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي (ت ١٢٧٠ هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت – لبنان .(د.ط)،(د.ت).

٢٩- شذرات الذهب في أخبار من ذهب : لابن العماد شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد الحنبلي الدمشقي (ت ١٠٨٩ هـ) تحقيق عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط ، دار ابن كثير ، دمشق – سوريا، الطبعة الأولى (١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م) .

٣٠- شرح حدود ابن عرفة الموسوم : الهداية الكافية الشافية لبيان حقائق الإمام ابن عرفة الوافية : لأبي عبد الله محمد الأنصاري الرصاع (ت٨٩٤ هـ)،تحقيق : محمد أبو الأجفان والطاهر المعموري ، دار لغرب الإسلامي ، الطبعة الأولى (١٩٩٣ م) .

٣١- شرح الكافية ، رضي الدين الأستراباذي (ت ٦٨٨ هـ) تصحيح وتعليق يوسف حسن عمر ، مؤسسة الصادق طهران – خيابان – ناصر وخسرو(١٣٩٨ هـ ، ١٩٧٨م) .(د.ط)

٣٢- شرح المفَصّل في صنعة الإعراب الموسوم بالتخمير ، صدر الأفاضل القاسم بن الحسين الخوارزمي (ت ٦١٧ هـ) ، تحقيق الدكتور عبد الرحمن بن سليمان العثيمين ، دار الغرب الاسلامي – مكة المكرمة .(د.ط).(د.ت).

٣٣- شواذ القراءات ،لرضي الدين شمس القرّاء أبي عبد الله محمد بن أبي نصر الكرماني (ت نحو ٥٠٥هـ) تحقيق الدكتور شمران العجيلي مؤسسة البلاغ ، بيروت – لبنان .(د.ط)،(د.ت).

٣٤- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع : المؤرخ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت ٩٠٢ هـ) ، دار الجبل ، بيروت – لبنان .(د.ط).(د .ت).

٣٥- غاية النهاية في طبقات القرّاء : تأليف الإمام شمس الدين أبي الخير محمد بن محمد بن علي بن الجزري الدمشقي الشافعي (ت ٨٣٣ هـ) ، دارالكتب العلمية– بيروت – لبنان، الطبعة الأولى (٢٠٠٦ م – ١٤٢٧هـ) .

٣٦- فتح القدير الجامع بين فني الرّواية والدّراية من علم التفسير ، محمد بن علي بن محمد الشوكاني المتوفى بصنعاء (١٢٥٠ هـ) تحقيق سعيد محمد اللحام دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .(د.ط.)، (د .ت).

٣٧- الكتاب كتاب سيبويه (ت١٨٠هـ) أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر بتحقيق وشرح عبدالسلام محمد هارون،مكتبة الخانجي – القاهرة ، الطبعة الثالثة (١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م).

٣٨- الكشاف عن خصائص غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، للعلّامة جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري تحقيق وتعليق ودراسة الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، والشيخ علي محمد معوّض مكتبة العبيكان– الرياض ، الطبعة الأولى (١٤١٨ هـ – ١٩٩٨ م) .

٣٩- اللباب في علوم الكتاب ، أبو حفص عمرُ بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي (ت ٨٨٠ هـ) ، تحقيق

وتعليق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوّض،دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ، ١٤١(هـ – ١٩٩٨ م) .

٤٠– مباحث في إعجاز القران ، الدكتور مصطفى مسلم ، دار المسلم للنشر والتوزيع ، الرياض – السعودية ، الطبعة الثانية ، (١٤١٦ هـ – ١٩٩٦ م) .

٤١– المحتسب في تبيين وُجُوه شواذ القراءات والإيضاح عنها ، لأبي الفتح عثمان بن جِنِّي (ت ٣٩٢ هـ) القاهرة ١٤١٥ هـ – ١٩٩٤ م . (د.ط).

٤٢– المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للقاضي أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الاندلسي (ت٥٤٦ هـ) ، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى (١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م) .

٤٣–مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع لابن خالويه (ت ٣٧٠هـ) مكتبة المتنبي القاهرة .(د.ط) (د.ت).

٤٤– معاني النحو ، الدكتور فاضل صالح السامرائي ، دار الفكرللطباعة والنشر والتوزيع ، عمان – الأردن، الطبعة الأولى ،(١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م).

٤٥– معجم المؤلفين : تراجم مصنفي الكتب العربية ، عمر رضا كحالة مؤسسة الرسالة ، بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى (١٤١٤ هـ – ١٩٩٣ م) .

٤٦– المعجم الموسوعي لألفاظ القران الكريم وقراءاته ، الدكتور أحمد مختار عمر ، مؤسسة سطور المعرفة السعودية – الرياض الطبعة الأولى(١٤٢٣ هـ –٢٠٠٢ م).

٤٧– من أسرار التعبير القرآني ، الدكتور فاضل صالح السامرائي ، دار الفكر ، بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى ،(١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م) .

٤٨– المنجد في اللغة للويس معلوف والإعلام ، لبنان الطبعة ،الثالثة والأربعون ٢٠٠٨ م .

٤٩– الميزان في تفسير القران للعلامة السيد محمد حسين الطباطبائي ، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت – لبنان،الطبعة الأولى ١٤١٧هـ– ١٩٩٧م .

٥٠– هدية العارفين : أسماء المؤلفين وآثار المصنفين : إسماعيل باشا البغدادي ، دار أحياء التراث العربي ، بيروت – لبنان .(د.ط) ،(د.ت).

الرسائل الجامعية :

٥١– الدراسات النحوية في تفسير اللباب ، سلام موجود خلخال ، رسالة دكتوراه ، آداب بغداد (١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢ م) .

٥٢– الدرس النحوي في تفسير القران العظيم للسيد عبد الله شبّر أمين عبد جيجان رسالة ماجستير ، التربية / المستنصرية (١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م) .

… Abstract …

In the name of Allah ,Most Gracious, Most Merciful

Praise be to Allah and peace and blessings be upon the noblest of creation wholes Muhammad and his chaste progeny and his companions granite and followed them in truth until the Day of Judgment, After:

Which is conclusion that the Quran has served employers including attached language from the temptation of meaning and charm statement and agile method , as it was miraculous all the methods and purposes and meanings Semitism Having embarked employers language to explain his words and the statement of its meanings, turne commentators to formats it , which falls in the semantics , and then spotted emitters indefinite article , knowledge and application delays and male and deletion etc. purposes , as they tried to reveal their secrets and uncover their meanings , and then opened before remained the doors on the other , and guaranteed the fragments of this section .

The main stakeholders in this field Khatib Alaskafi (d. 420 AH) in (Dorat Al-Tanzeal and Gorat Al- taueel) and Zamakhshari in (Scouts), as was most of what of the masterpieces of the statement, and wondrous systems from the product of his mind open-minded , and taste good , and his knowledge of the explosive , then grabbed a constellation of scientists him , and walked on a gift in his writings , and followed him . One of the Wuxi his works in this color from the study Al-

Razi (d. 606 AH) in (Interpretation big), Abu Hayyan (d. 745 AH) in the (ocean sea) and Alusi (d. 1270 AH) in the (spirit of the meanings) and other.

Ibn – Arafa among those who tried to explain these mysteries grammatical and concepts , came his research along the lines of what eating his predecessors , although we found it in many of the citizen is out of this box as he turned to what did not pay attention to him first , and then the research in this section it runs the risk of novelty and innovation and originality , was proficient in this field, and proficient in the tracers jokes rhetorical and secrets expressive , and that this interpretation may be included between cover to cover colors of Science Arabic, was filed author Investigation great , and material heavy , and nuggets of consensus grammatical that broke on the effects of this personal dust , and unearth what annexation book from an article in Science especially Arab secrets the Quranic grammatical expressions .

((The expression Quranic artistic expression intentional. Every word but every character in it put a situation technically intentional, not taken into consideration in this situation verse alone nor Surah alone, but taken into account in this mode of expression Quranic all, I have found out that he did not put words in vain nor is the expense of , but are placed We will address in the and accurately calculates the precise situation)) search important aspects that emerged in the study of the Quranic expression which dealt Ibn Arafa , and this will be detectives as follows:

1- The first topic : the knowledge of the secrets of the indefinite article.

2- The second topic: Secrets of the presentation and the delay.

3- The third topic : the deletion of the secrets .

Finally, I hope that I have managed to make its contribution to seek scientific satisfaction of God , and ask him to reconcile all of us.